مع المعتـــــوهين

كنت فى المطار لتوديع زميل عزيز ، وأول مالفت نظرى رجل لاحظته يطيل إلى النظر كمن يريد أن يقول شيئاً ، ويمنعه حياؤه ، فقلت فى نفسى ربما أننى أشبه أحد أقربائه أو صديقاً ممن يعرف ، ولم ألق لذلك بالا . . وبعد فترة شعرت بشخص ورائى فالتفت فإذا بى أمامه وجهاً لوجه فابتدرنى بقوله :

— معذرة يا أستاذ ، إنى لم أستطع كبح جماح غريزة حب الاستطلاع فى نفسى ! هل أنت كويتى ؟

— نعم . . هل من خدمة أستطيع تقديمها ؟

— شكراً ، . أرجو أن يكون حظى سعيدا لكى أحظى بمرافقتك فى رحلتنا .

— يؤسفنى أننى جئت لتوديع زميل عزيز .

— حسناً أنا . . وذكر اسمه — لى صلة ببعض التجار الكويتيين وقد مكثت فى الكويت زهاء شهرين فى العام الماضى ، وقد جذبتنى بلادكم لبساطتها ، وطيب طقسها ، غير أننى لاحظت عدة ملاحظات يمكن — بكل بساطة — التغلب عليها وأرجو أن تستمع لرأيى المتواضع عنها .

— تفضل وأرجو أن أكون عند حسن ظنك .

— ستقول أننى فضولى ما فى ذلك شك ، لكنى لم أستطع مغالبة ما فى نفسى . خذ مثلا ناحية لم تنل أى اهتمام من قبل المسئولين عندكم ، وهى الوقاية الصحية . إن بلادكم مفتوحة لكل غريب ، وموانيها — خصوصاً البحرية — لا تخضع لأى رقابة صحية على الداخلين ! ! أهو كرم ضيافتكم الذى يدفعكم لذلك أم . . هذه نقطة — ومع ما يقوم به مجلس البلدية من مشاريع نافعة أهمل أمراً ذا بال وهو عدم تبليط الشوارع ، لا سيما الصفاة . أليست من الأهمية بمكان ، وهى مدخل المدينة ؟ كذلك هل أنتم مغرمون بهذه السحب من الغبار التى تستقبل الزائر عند نزوله المطار .

— مهلا ، مهلا ، ياسيدى إنى هنا فى مصر بعيد عن وطنى ، كما ترى ، وقد مضت سنتان لم أزر خلالهما بلادى ولست أعلم ما يدور فى الرؤوس . ثم إنك ياعزيزى أتيت بكل مايجول فى خاطرك ، وما يحز فى نفسك الكريمة دفعة واحدة .

لك كل الحق فى قولك هذا ، لقد أتخمتك بنقدى ، لكنى مع مزيد الأسف لم أذكر حتى ولا الربع مما عندى وكما قلت إنكم تستطيعون التغلب على هذه العيوب البسيطة بميزانيتكم ، ولا أخال نفسى مغالياً إذا قلت إنها تكفى لتنفيذ جميع ما ذكرت فى سنة مالية واحدة . فذلك السائل العجيب الذى يجرى فى بطن أرضكم ما مدى فائدتكم منه لا فوائد كما أظن غير هذا السيل الجارف من النازحين للعمل فى الكويت . إن صح أن ذلك فائدة يُرجى من ورائها نفع لوطنكم .

— ما العمل هل نمنعهم ونحن لا نستطيع أن نفى بالعدد المطلوب من الأيدى العاملة التى يتطلبها العمل فى آبار الزيت ، إن الشركات تعمل دائماً بأى وسيلة على زيادة إنتاجها .

— قل لى هل زرت مراكز العمل فى الكويت ؟ وهل عرفت شيئاً عن معاملة عمالكم ؟ ماذا عملت الشركات لراحة العامل الكويتى ؟ . . أين مدن العمال وما يتبعها من وسائل الراحة ؟ أتحسب أن العامل آلة ؟ فلا مسكن محترم يقيه شر زمهرير الشتاء ، ولا عناية صحية . وهل عملت الشركات على رفع مستوى العامل ؟ بل إنها حرمته من نعمة الراحة . أليس فى استطاعتها استغلال استعداد العامل الكويتى الفطرى لفائدته ؟ لم لا تعلمه صنعة فنية ، لتجعل منه عاملاً فنياً ماهراً فى أى ناحية من نواحى العمل ، كأن يكون ميكانيكياً مثلا . لا أدرى هل تعجز الشركات عن هذا ، أم أنها ترغب فى بقاء الحال كما هى : أى الكويتى عامل بسيط فقط أما الأجانب . . .

وهنا سمعنا صوت المذياع . . . . « ركاب الطائرة المسافرة إلى الكويت يتفضلون للركوب » . فهب محدثى واقفاً وقال :

أرجو أن لا أكون قد ضايقتك بمقترحاتى هذه ، وأرجو أن نلتقى ثانية لأقول كلما عندى . ومن يدرى فقد أكون معتوهاً .

مسهار

لقد ضللنا الطريق

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

وعقيدته . ويعتز ، ويفخر بلغته . لا مانع بعد ذلك من إرساله إلى أى جامعة فى الخارج . ليستكمل علومه وإنما الذى يفتت أكبادنا ويقطع حبل الرجاء . هو أن نقدم أبناءنا وهم فى دور الخلق والتكوين قرباناً وضحايا . للجامعة « الأمريكية » و « فكتوريا » و « الليسيه فرنسيه » و « مدارس الجزويت الفرنسية » تكيفهم كما تقتضيه رسالتها .

نقرأ تاريخ هذه المعاهد فلا نجد أنها أخرجت لنا يوما ما رجلا يفيض وطنية . ويتدفق إيماناً . لأن فاقد الشىء لا يعطيه غيره . . إننا اليوم فى أشد الحاجة إلى عقول نيرة تدرك المسئولية وأرواح مصقولة . انطبعت بطابع الإيمان الصحيح . والإخلاص والتفانى فى القول والعمل وهذا لن تحمله أرواح قضى عليها وهى فى مهدها وأميتت وهى فى دور تكوينها .

« أيها الآباء الأفاضل : إننا نريد أرواحاً تؤمن برسالة رسول الله . لا أشباحاً ، لقد ثقل كاهل الإسلام بتلك الأشباح المتفرنجة البغيضة إلى نفس كل مؤمن . أخلق من ابنك صورة إسلامية حية متحركة ناطقة . أمزج روح الإسلام بروحه وقلبه . ثم بعد ذلك ادفعه إلى معترك الحياة العلمية ليخرج طبيباً أو مهندساً . أو محامياً . أو صانعاً . أو . . . . أو . . . ولكن حذار حذار أن ينطفىء نور الإسلام فى قلبه » .

نحن نبارك هذه النهضة العلمية والثقافية . ولكن كما قلنا يجب أن تكون نهضة محكمة الأساس لها هدف مقصود . وغاية سامية فى النفوس والطباع وبعث للأرواح من جديد قبل أن تكون تزويقا فى المظهر وبهرجة خادعة كاذبة .

قد يقول أولياء الأمور ليس فى بلدنا مدارس نموذجية لتربية الطفل . نحن لا نعارض فى هذا القول ولكن ينبغى أن توجد لهم الحقول الصالحة التى تستطيع أن تنبتهم نبتاً حسناً . وأن نوجه الجهود إلى إيجاد مدارس نموذجية للأطفال وأن ترصد المبالغ اللازمة . مهما كانت تكاليفها ويندب لها إخصائيون فى تربية الطفل من مصر المسلمة .

نأمل أن يتدارك الأولياء الأمر قبل أن يستفحل خطره . ويعم شره وتفوت الفرصة وما أردنا بذلك إلا الإصلاح ما استطعنا إلى الإصلاح سبيلا ؟

خالد أحمد الجسار